مجلة إشكالات في اللغة والأدب — مجلد: 10 عدد: 4 السنة: 2021
ص: 60 - 73 — E ISSN: 2600-6634 / ISSN:2335-1586

الاتساق النّحوي وآلياته في الخطاب الشعري الإصلاحي الجزائري
–شعب الجزائر مسلم_ أنموذجا

Grammatical consistency and its mechanisms in - Algerian reformist poetic discourse The people of Algeria are Muslim - model

مزوزي أنس[1]*، بن عائشة حسين[2]
Mazouzi Aness[1], ben aicha hocine [2]
جامعة عبد الحميد بن باديس –مستغانم– الجزائر
Abdelhamid Ben Badis,- Mostaghanem- Algeria University
anesismail3@gmail.com[1] mostawayete@hotmail.fr [2]

تاريخ الإرسال: 2020/11/09	تاريخ القبول: 2021/06/10	تاريخ النشر: 2021/11/04

مُلخّص البحث

تعدّدت المذاهب والمدارس التي تناولت النّص بالدراسة والتحليل وتعدّدت وجهات النظر فيها إلى النص وحدّه ومظاهره وظروف طرحه وتلقّيه، ثم ما كثرت المدارس في الظهور حتى ظهرت لسانّيات النص التي دفعت بالمقاربة النصية إلى تجاوز الدراسة من بنية الجملة الصغرى، إلى النص كبنية كبرى، بوصفه بنية دلالية عامة له وظائف متعددة، التي جاءت كردة فعل مخالفة للمناهج التي قصرت دراستها على الجملة الواحدة، ونحن في هذا العمل سنسلّط الضوء على الخطاب الشعري الإصلاحي المتمثل في قصيدة "شعب الجزائر مسلم" التي سندرسها دراسة لسانية نصية إبرازا للاتساق النحوي الذي يعد مظهرا من مظاهر معايير نصية النص.

ومما وصلت إليه دراستنا التطبيقية أنّ المتأمل في مراحل التحليل اللّساني يُدرك يقينا أننا تعاملنا في دراستنا للنص بمنحين أساسيين مختلفين هما الوصفي والتحليلي هدفنا من وراء ذلك هو وصف الظاهرة اللغوية لذاتها ومن أجل ذاتها رصدا لآليات اتساق النص الشعري وتعرفا على مختلف العلاقات بين البنية الصغرى إلى البنية الكبرى.

الكلمات المفتاح : الاتساق، النحو، آليات، الإحالة، الخطاب، الشعر، الجزائري.

Abstract :

many sects and schools that deal with the text by study and analysis, and there were many views regarding the text alone, its manifestations, and the circumstances of its presentation and reception. In general, it has multiple

* مزوزي أنس، anesismail3@gmail.com

functions, which came as a reaction to a violation of the curricula that limited its study to a single sentence.

In this paper, we will study the reformist poetic discourse represented in the poem "The People of Algeria is a Muslim," as a textual linguistic study to highlight the grammatical consistency, which is a manifestation of the criteria text. And what our case study has reached is that the contemplator in the stages of linguistic analysis is surely aware that in our study of the text we dealt with two different basic producers, namely, descriptive and analytical.

Keywords: consistency, grammar, mechanisms, referral, discourse, poetry, Algerian.

مقدمة:

ظهر في أواخر الستينات من القرن الماضي، وبالتحديد في غرب أوروبا تيّار معرفي جديد يُعنى بمقاربة النصوص الأدبية، وغير الأدبية من وجهة نظر لسانية تتجاوز مستوى المفردة إلى النص، بوصفه بنية دلالية كبرى له وظائف متعددة، هذا التيّار أطلق عليه اسم: لسانيات النّص، والذي جاء كردة فعل مخالفة للمناهج التي قصرت دراستها على الجملة الواحدة، فتناولتها مفردة معزولة عن سياقها باعتبارها الوحدة الكبرى القابلة للتحليل، وتوسعت في دراسة الأجزاء المكوّنة لها، مركزة على الجانب الوصفي للغة، وأهملت الدّلالي والتداولي منها.

واللسانيات كغيرها من العلوم اللغوية الأخرى تحاول أن تشقّ طريقها لإثبات أحقّيتها في الاعتماد عليها لمعالجة وتحليل النّصوص والخطابات من خلال جملة من الوسائل والآليات، وذلك بالتركيز على مبدأين أساسيين هما:

- البحث في كيفيّة ترابط النّص، وتماسكه من خلال الاجزاء المكوّنة له.
- الكشف عن الوسائل اللغوية التي تجعل من النّص وحدة قائمة بذاتها، متميّزة عن غيرها مترابطة فيما بينها.

وفي هذا المقال سنتعرض إلى معيار من المعايير النصيّة التي حدّدها **دي بوغراند** و**دريسلر** وجرى عليها الباحثون في إثبات نصيّة النصوص من عدمها، هذا المعيار هو الاتّساق أو الترابط الرّصفي كما ذكر دي بوغراند بترجمة تمّام حسّان.

ولعلّ هدفنا من إثارة هذا الموضوع التعرف على آليات الاتّساق التي تساهم بشكل أساسي ومباشر في تحقيق النصيّة، هذا انطلاقا من المدوّنة المختارة من الخطاب الشعري الإصلاحي حول قصيدة (شعب الجزائر مسلم) للإمام عبد الحميد بن باديس فلقد جعلنا من المنهج اللساني النّصي مطيّة لدراسة **القصيدة** لنكشف ما استطعنا عن مدى ترابطها واتساق الأجزاء المكوّنة لها.

ولقد انطلقنا من اشكالية مفادها: ما هو الاتّساق ووكيف يتشكل الاتّساق النحوي وماهي سماته التي نلمسها في القصيدة؟ وما هي آلياته المعتمدة؟ وبأي اشكال يتجّلى بها في الخطاب الشعري الإصلاحي؟ واين تكمن قيمته في النص؟

وسنعمد فيما يلي إلى تعريف الاتّساق في اللغة والاصطلاح، والنظر في التأطير العام النظري للاتساق النحوي، لننهي الموضوع بالجانب التطبيقي على القصيدة.

أوّلا: مفهوم الاتساق:

يعني الاتساق، ذلك الترابط بين التراكيب والعناصر اللغوية المختلفة لنظام اللغة[1] حيث تتآزر التراكيب والعناصر لتشكل وحدة متآلفة، متسقة بما تلعبه مختلف الروابط من دور في تلاحم الجمل ببعضها البعض، لأن اجتماع العناصر بالأصول، والعناصر اللغوية والكلمة والجمل اجتماعا عاديا بالمفاهيم أو بمجموعات من المفاهيم التي يتعلق بعضها ببعض في أنظمة متماسكة هو نفسه حقيقة اللغة.[2]

يعرفه محمد خطابي على أنه : "ذلك التماسك الشديد بين الأفراد المشكلة لنص/ خطاب ما يهتم فيه بالوسائل اللغوية (الشكلية) التي تصل بين العناصر المكونة لجزء من خطاب أو خطاب برمته"[3].

ولقد أُقرَّ إبراهيم خليل في كتابه (في اللسانيات ونحو النص) : أنَّ هارفنج أول محاولة (1968) جادة لوصف التنظيم الذاتي الداخلي للنصوص من خلال الحديث على بعض العلاقات التي تسودها، مثل علاقة الإحالة الاستبدال مشيرا إلى التكرار والحذف والترادف والعطف والتفريغ والترتيب وذكر النتيجة بعد السبب والجزء بعد الكل أو العكس، وهذا كله مما يقع في دائرة الترابط والاتساق الداخلي للنص[4] والاتساق بهذا المفهوم، " لن يكون موجودا في النص إلا إذا توفرت فيه الآليات التي تجمع النص عموما والتي يقسمها (فان دايك) إلى مجموعتين، إحداها مجموعة الروابط المنطقية، وبعضها طبيعي ينبع من طبيعة التركيب اللغوي "[5].

ويرى تمام حسان : "أن التعليق بالأداة أشهر أنواع التعليق في اللغة العربية الفصحى، فإذا استثنينا جملة الإثبات والأمر بالصيغة (قام يزيد، زيد قام، قم) وكذلك بعض جمل الإفصاح، فإننا سنجد كل جملة في اللغة العربية على الإطلاق يتكل في تلخيص العلاقة بين أجزائها على الأداة "[6] فدور الاتساق حسب "هاليداي "و "رقية حسن" في نشأة النص إنما هو توفر عناصر الالتحام، وتحقيق الترابط بين بداية النص وآخره دون الفصل بين المستويات المعنوية المختلفة، فالترابط النصي هو الذي يخلق بنية النص ومن أجل ذلك الترابط النصي لابد من توفير مجموعة من الظواهر التي تعمل على تحقيق الاتساق في مستوى النص وهذه الوسائل هي: الإحالة، الضمائر، الاستبدال، الحذف، والربط والاتساق المعجمي[7].

أما محمد الشاوش فيعرف الاتساق : "بكونه مجموعة الإمكانيات المتاحة في اللغة لجعل أجزاء النص متماسكة ببعضها بعض"[8].

ثانيا: أشكال الاتساق:

نقتصر فيهما على الآليات الأساسية فقط، مجانبين بهذا التطويل والقصد في تحليل أهم العناصر التي تُحقق هذا الترابط الشكلي في النص.

1- **عناصر الاتساق النحويّة:**

أ- **الإحالة:**

الإحالة "reference" هي من أهم أدوات الاتساق النصي، ويقصد بها "وجود عناصر لغوية لا تكتفي بذاتها من حيث التأويل وإنما تحيل إلى عنصر آخر، لذا تسمى عناصر محيلة مثل الضمائر وأسماء الإشارة والأسماء الموصولة..... الخ"[9] وقد عرفها دي بوجراند بأنها "العلاقة بين العبارات من جهة وبين الأشياء والموقف في العالم الخارجي الذي تشير إليه العبارات"[10]، ويقول جون لاينز في سياق حديثه عن المفهوم الدلالي التقليدي للإحالة "إن العلاقة القائمة بين الأسماء والمسميات هي علاقة إحالة فالأسماء تحيل إلى المسميات"[11].

وتطلق تسمية العناصر الإحالية – الأزهار الزناد على قسم من الألفاظ لا تملك دلالة مستقلة، بل تعود على عنصر أو عناصر أخرى مذكورة في أجزاء أخرى من الخطاب فشرط وجودها هو النص[12].

ولقد قسم كل من رقية حسن وهاليداي الإحالة إلى قسمين :

الإحالة النصيّة: وتكون بين عنصرين لغويين من داخل النص نفسه وتتفرع إلى:

إحالة قبلية: وذلك عندما سبق المحال إليه المحيل، وهي تعود على مفسر سبق التلفظ به وفيها يجري تعويض لفظ المفسر الذي كان من المفروض أن يظهر حيث يرد المضمر، وهي الحالة الأكثر شيوعا.

إحالة بعدية: فيما يشير العنصر المحيل إلى عنصر آخر يلحقه، وتستخدم لإيضاح شيء مجهول أو مشكوك فيه، ولهذا فهي تعمل على تكثيف اهتمام القارئ. [13]

الإحالة المقامية: وهي إحالة عنصر لغوي إحالي على عنصر إشاري غير لغوي موجود في المقام الخارجي أي خارج النص، كأن يحيل ضمير المتكلم المفرد على ذات صاحبه المتكلم فهي تعمل على إفهام النص وتأويله، وتخرج النص من حالة الانغلاق إلى حالة الانفتاح على عالم السياق والتداولية "تساهم في خلق النص لكونها تربط اللغة بالسياق والمقام، إلاّ أنها لا تساهم في اتساقه بشكل مباشر". [14]

الإحالة المقامية تؤدي إلى توسيع دلالة النص، إذ تطلق العنان للتأويل وتعدد الآراء والقراءات، فتضيف إلى النص وضوحا دلاليا على الحقيقة.

والإحالة بنوعيها الخارجية (المقامية) والداخلية (النصية) ومهما تعددت أنواعها فإنها تقوم على مبدأ واحد هو الاتفاق بين العنصر الإشاري والعنصر الإحالي في المرجع. [15]

أما عن عناصر الاحالة فقد أشار إليها اللغويون وحددوها.

وسائل الاتساق الإحالية:

و هي تلك الألفاظ التي نعتمد عليها لتحديد المحال اليه داخل النص أو خارجه، وأطلق عليها الأزهر الزناد (العناصر الاحالية) في اللغة وعدّها من قبيل المعوضات، واشار الى انها تأتي تعويضاً عن وحدات معجمية يمكن أن نطلق عليها مصطلح العنصر الاشاري، وتشمل كل ما يشير الى ذات أو موقع او زمن، وتنقسم العناصر الإحالية عنده الى :

1. الضمائر.
2. اسماء الاشارة.

✓ **الضمائر:**

الحقيقة أن الضمير يعتبر رابطا من الروابط الاسمية، سواء كان بارزاً أو مستتراً، ذلك لأنه –و إن كان مستترا، ويدرك بالعقل، ويستنبط من خلال المعنى– فإنه في بعض المواضع يأتي رابطا للجملة التي يستتر فيها بالجملة التي قبلها، نحو قوله تعالى :

وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ (٢٠)

فالضمير المستتر في (يسعى) يربط الجملة بما قبلها.

تعد الضمائر أفضل الأمثلة على الأدوات التي يستعملها المتكلمون للإحالة على كيانات معطاة، فلو أردنا الحقيقة، على ماذا يحيل ضمير المفرد الغائب (هو) لو أخذ منعزلا لما وجدنا له معنى خاصا يتفرد به ولا يرتبط فيه بلفظ آخر، بل نجده يشير دوما إلى المرجع الذي يعود عليه وقد أدى هذا بالعديد من اللغويين إلى القول بأنّ صبغة إسمية مثل (هو) ليست في الواقع أداة محيلة، وأنها لا تستعمل إلا في الإحالة داخل النص، أي داخل نص يحتوي كذلك على صيغة إسمية كاملة. [16]

وتنقسم الضمائر إلى وجودية مثل : أنا، أنت، نحن، هو، هم، هن.....الخ وإلى ضمائر ملكية مثل: كتابي، كتابك، كتابنا....الخ. [17] وتندرج ضمنها ضمائر الغيبة إفرادًا وتثنية وجمعاً (هو، هي، هم، هن، هم). ومما تجدر الإشارة إليه أنّ الضمائر تكتسب أهميتها بصفتها نائبة عن الأسماء والأفعال والعبارات والجمل المتتالية، فقد يحلّ الضمير محل كلمة أو عبارة أو جملة أو عدة جمل، ولا تقف أهميتها عند هذا الحد بل تتعداه إلى كونها تربط بين أجزاء النص المختلفة، شكلاً ودلالة داخلياًendophoric وخارجياًexophoric وسابقة anaphoric ولاحقة cataphoric[18]

✓ **أسماء الإشارة:**

يذهب الباحثان "هاليداي" و"رقية حسن" إلى أن هناك عدة إمكانيات لتصنيفها، إما حسب الظرفية: الزمان (الآن، غدا...) والمكان (هنا، هناك ...) [19]، أو حسب الإشارة المحايدة، وتكون بـ "The" أي ما يوافق أداة التعريف[20]، أو الانتقاء (هذا، هؤلاء.....) أو حسب البعد (ذاك، تلك...) والقرب (هذه، هذا..)، ومما هو ملاحظ فإن أسماء الإشارة تقوم بالربط القبلي والبعدي وإذا كانت أسماء الإشارة بشتى أصنافها محيلة إحالة قبلية، بمعنى أنها تربط جزء لاحق بجزء سابق، ومن ثم تساهم في اتساق النص، فإن اسم الإشارة المغرد يتميز بما يسميه المؤلفان (الإحالة الموسعة)، أي إمكانية الإحالة إلى جملة بأكملها أو متتالية من الجمل. [21]

ب- الحذف:

يعد الحذف ELLIPSIS ظاهرة لغوية مشتركة بين اللغات الإنسانية وإن كانت تتفاوت في بروزها بين هذه اللغات بين هذه اللغات، ويميل اللغويون العرب إلى أنَّ اللغة العربية تفوق غيرها في بروز هذه الظاهرة لأن من أهم سماتها الإيجاز. [22]

وقد لفت نص عبد القاهر هذا نظر بعض اللغويين المحدثين إلى أهمية ظاهرة الحذف، وصعوبتها في الوقت نفسه حيث يقول الدكتور سعيد بحيري:"ونلحظ ابتداء أنه قد حلل مسائل محدودة في هذا الباب وربما لم يهدف من تلك المعالجة إلا إلى الإشارة إلى مواضع تخفى عن القارئ المتمرس، لم يهتد إلى أسرارها من تصدي لبيان الوجوه والفروق في مسائل الحذف وتعليل مبدأ (ترك الذكر أفصح من الذكر)".[23]

ويحدد هاليداي ورقية حسن الحذف بأنه "علاقة داخل النص، وفي معظم الأمثلة يوجد العنصر المفترض في النص السابق، وهذا يعني أن الحذف عادة علاقة قبلية".[24]

ويظهر الحذف فقط عندما تشتمل عملية فهم النص على إمكانية إدراك الانقطاع على مستوى سطح النص حيث "يميل المتكلم إلى إسقاط بعض العناصر من الكلام اعتمادًا على فهم المخاطب وإدراكه للعناصر المحذوفة تارة ووضوح قرائن السياق تارة أخرى"[25]، ويقوم المتلقي بدوره مجموعة من العمليات الذهنية الناتجة عن الحذف لسد الفجوات التي تقع على المستوى التركيبي أو سطح النص اعتمادا على معرفته الأساسية بالأعراف التركيبية، وكذلك يشترط في الحذف إحاطة متلقي النص بمكونات السياق الاجتماعي المصاحب له ليتمكن من تقدير المحذوف تقديرا صائبا وحتى يحافظ على استمرارية فعل المتلقي[26] .

أنماط الحذف:

قد حاول القدماء تحديد أنواع الحذف حيث يقول ابن جني "قد حذفت العرب الجملة والمفرد والحروف وليس شيء من ذلك إلا عن دليل عليه، وإلا كان فيه ضرب من تكليف علم الغيب في معرفته[27] ثم شرع في تفصيل كل شيء مستشهدا على ذلك بآيات من القرآن والشعر وممثلا بأمثلة ... ويأتي من بعد ابن جني ابن هشام فيفضل أنواع الحذف ومن ذلك حذف جملة القسم، وحذف جملة الشرط وحذف جملة جواب الشرط وحذف أكثر من جملة، ومثل لهذا الأخير بقوله تعالى : <<فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيي الله الموتى>> البقرة 2/ 73 وعقب على ذلك بقوله: " إنَّ التقدير : فضربوه فقلنا " كذلك يحي اللهُ "[28]

أما هاليداي ورقية حسن فقد ذكرا ثلاثة أنواع للحذف هي :

الحذف الاسمي: ويعني حذف اسم داخل المركب الاسمي مثل: (أي سيارة ستركب ؟) هذه هي الأفضل، أي هذه السيارة.

الحذف الفعلي : ويقصد به الحذف داخل المركب الفعلي، مثل : (هل كنت تسبح؟ نعم فعلت).

الحذف داخل شبه جملة : مثلا : كم ثمنه؟ واحد دينار[29]

مما هو ملاحظ عن الأمثلة المقدمة، فإن الحذف يقوم بدور اتساقي، على الرغم من أن هذا الدور يختلف عن الدور الذي تلعبه الإحالة لأن في الحذف لا يوجد أثر عن المحذوف فيما يلحق من النص إلا ما دل عليه دليل من السياق.

أما عن الموضع التي يكثر فيها الحذف فقد ذكرها كل من "هاليداي" و"رقية حسن" أنه يكون في" جملة الاستفهام" لأنها تعد الدرجة القصوى للحذف المعجمي.

وقد لاحظ الباحثان أن أكثر الأنماط قيامًا بمهمة التماسك النصي هي :

1- حذف الاسم، 2- حذف الفعل، 3- حذف العبارة، 4- حذف الجملة، 5- حذف أكثر من جملة. [30]

علاقة الحذف بالإحالة:

أما العلاقة بينهما فهي واضحة على حد تعبير" صبحي ابراهيم الفقي" وهي الجوانب التي تولد أهمية الحذف في تحقيق التماسك النصي نظرا لوجود دليل مذكور يسهم في تقدير المحذوف. [31]

فالحذف لا يتأتى إلا بوجود قرينة، هذه الأخيرة تحيلنا إلى المحذوف مباشرة ومن هنا فالعلاقة بين الإحالة والحذف وطيدة جدًا.

ثالثا: الجانب الإجرائي

وضمن هذا الإطار سنحاول أن نخصص جانبا إجرائيا حول مقاربة النص الشعري مقاربة لسانية نصية، محاولين توظيف ما ذكرناه من آليات اتساق الخطاب الشعري ،ساعيا من وراء ذلك إلى توضيح الرؤية للقراء بصفة عامة والطلبة بصفة خاصة .

1- الإحالة: Reference.

أ- الضمائر:

إذا ما تتبّعنا **قصيدة الشيْخ بن باديس** نجد هذه الضمائر بأنواعها المنفصلة والمتّصلة والمستترة ولعل هذه الاخيرة نالت حظّا وافر في القصيدة.

من **الضمائر المنفصلة** التي ذكرت في القصيدة والتي عاد أغلبها على الشعب الجزائري والنشء الذي سيقوم الأمّة والتي ساهمت في تسديد الخطاب التوجيهي الحماسي للشعب الجزائري من خلال تعمُّده ذكر الضمير بضمير فردي حتى يتأثر المتلقي بعاطفة الشاعر فينساق مع الدّفق الوجداني الحماسي الذي يريده الشاعر له، من ذلك قوله:

يا نشء **أنت** رجاؤنا *** وبك الصباح قد اقترب

ولعل هذا موضع واحد ووحيد للضمير المنفصل في القصيدة.

ومن **الضمائر المتّصلة** الكثيرة ذكره للهاء ويشير بها إلى جماعة الغائبين وهو –كما أسلفنا– يشير إلى الشعب الجزائري والنشء القادم من الشباب، وأحيانا يدمج نفسه في شعوره في هذا الضمير، نجد ذلك في قوله: (عن أصله /إدماجا له) هذان موضعان في القصيدة، كذلك النون والتي تعود أيضا على الشعب الجزائري والنشء ولها نفس الأثر والقصد من الشاعر في قوله: (رجاؤنا/ ودّنا/ ذُلّنا/ حياتنا/ لقومنا/) وهكذا نماذجَ تمثيلا لا حصرا، نجده يجسد ويشخّص هذه الضمائر، ويجعل منها لسانا يناجي ويحمّس النشء، ولهمم الشباب قدرة على القضاء.

ومن **الضمائر المستترة** والتي تعدّ العصب الذي احتوى الإحالة هنا في القصيدة واختلفت هذه الضمائر المستترة لتدلّ على الغائب والحاضر والمتكلّم وتعبّر عن الرّغبة والحماس والاندفاع الذي يخوضه الشاعر في سبيل ارشاد العامّة والنشء القادم ورفع الهمم، من ذلك قوله:

من قال **حاد** عن أصله *** أو قال **مات** فقد كذب

حاد فاعلها ضمير مستتر تقديره (هو)، كذلك **مات**.

ثم تأتي أفعال الأمر في باقي الأبيات كلها تؤكد على غلبة الضمير المستتر والذي في كل مواضعها يعود على من هو محور الكلام والذي لأجله وُصّعت وأُخرجت هذه القصيدة البهيّة، وهذه الأفعال (خُذ/ خُض/ارفع/ اصدم/ اقلع/ اذق/ أُهزز) ثم ينتقل الضمير المستتر في موضعين (من كان / من كان) يعودان على من أراد بالجزائر خيرا أو سوءً، ويتبعهما بالمدح أو الذم.

ويستمر الشاعر في وصف الصورة العظيمة حينما يعود به الضمير إلى الشعب الجزائر، فيتصور البهاء والقوة والجَلد والصبر والمقاومة والطلب الحثيث في العلم والعمل، ويهتف ضميره باسمه ويناجيه على القرب.

وما نلاحظه على الضمائر التي استخدمت على طول القصيدة هي ضمائر تتطابق وتناسب مع موضوع المدح والهجاء سواء أكانت ضمائر جمع أو مفرد، أو غائب أو متكلم، لأنها لا تخلو من لقاءات التعظيم والفخر تارة، ثم يتبعها الذّم والسخط تارة أخرى وهكذا هي حال الغيورين على الوطن والأمّة.

ب- اسم الإشارة:

منها ما يدّل على الزّمان، ومنها ما يدلّ على المكان، ومنها للبعد ومنها للقرب، فهي تقوم بالربط القبلي والبعدي ومن ثمة تُسهم في تحقيق اتّساق النص، ويتّضح دورها في التماسك في مواضع قليلة وهي:

هذا نظام حياتنا *** بالنّور خُطّ وباللّهب

هذا: اسم إشارة للدلالة على القريب وهذا واضح من خلال المعنى العام للبيت، وإذا ما نظرنا إلى البيت الذي يسبقه نجد قول الشاعر: من كان يبغي ودّنا ...وقوله: أو كان يبغي ذُلّنا... نجد أنّ فيه عناصر إشاريّة معجمية في (فعلى الكرامة) و(فله المهانة)، ثم يقول في البيت الذي يليه: هذا نظام حياتنا...، وهذا عنصر إشاري نصّي أحال المتلقي إلى ما سبق من العناصر الإشارية المعجمية وهنا تكمن أهمية اسم الإشارة في تحقيق الاتساق النّصي وتماسك أركانه، حيث ورد اسم الاشارة (**هذا**) اختزالا للكلام واقتصادا للجهد واجتنابا للتكرار حيث أحال إلى مجموعة أحداث تلتقي كلها في نتيجة ينبني عليها الحدث، أو المعنى الذي يحيل إليه العنصر الإحالي الجامع لكل ما تقدّم.

كذلك قوله:

هذا لكم عهدي به *** حتّى أُوسّد في التُّرب

هذا: اسم إشارة للدلالة على القريب أيضا، هنا أيضا نجد أثر الاختزال واجتناب التكرار من خلال اسم الإشارة (هذا) فالشاعر أراد به قوله: (هذا لكم عهدي...أي عهدي في المجد الذي أريده لكم والذي أحاول بناء ما استطعت لكم...) فكل ما سبق اسم الإشارة من عناصر إشارية معجميّة أحال إليها اسم الإشارة (هذا) ولنا أن نتبيّن مدى أهميته في هذا الموقع من القصيدة.

ونجد أن اسم الإشارة، **هذا** هو النموذج الوحيد الموجود في كل أبيات القصيدة.

2- الحذف:Ellipsis .

وتمثلت صور الحذف في حذف المبتدأ، وحذف الفاعل في الجمل المبني فعلها للمجهول، وحذف المفعول به والمفعول لأجله، وحذف خبر الفعل الناسخ بدلالة خبر مثله عليه، وحذف جواب الشرط، وعلى ذلك ففي القصيدة حذف لكلمة، وحذف لتركيب، وحذف لجملة.

أ- حذف المبتدأ:

قام الشاعر بحذف المبتدأ فيما يسمى نحويا بالحذف الجائز، وذلك في قوله: (من قال حاد عن أصله** أو قال مات فقد كذب)، فجملة (قال مات) تقع في موقع الخبر، والتقدير (ومن قال مات فقد كذب)، ومع سهولة التقدير في هذه الصورة من الحذف نجد اشتراكا بين المبدع والمتلقي في تشكيل البنية التحتية للنص، فالشاعر قدم البنية السطحية محتوية على فجوة تحتاج من المتلقي ملء هذه الفجوة، وقيام المتلقي بعملية ملء الفجوات هذه تعد اشتراكا في تشكيل الصيغة النهائية للنص.

ب- حذف الفاعل:

حذف الشاعر الفاعل وأقام المفعول مقامه في الصورة المعروفة نحويا بالمبني لما لم يسم فاعله، أو المبني للمجهول، أو باب المفعول الذي تعداه فعله إلى مفعول، وذلك في قوله: (وأذق نفوس الظالمين **سمّا يُمزج بالرّهب)، ففعل يُمزج يحتاج إلى فاعل يمكن للمتلقي به أن يسد هذه الفجوة الناتجة عن حذف الفاعل، فيحاول تأويل المحذوف أو تقديره بأنه نحن أو بديلها (نا) أو أنت أو بديلها (الهاء) ليكون أصل الجملة نمزجه أو مزجنا أو تمزجه أو أُمزُجه، ثم حذف الضمير وأعد الفعل إعدادا جديدا يناسب نائبا عنه. وقد ساعد على عدم الارتباك في التقدير الكلام التالي للمحذوف وهو(وأذق نفوس الظالمين).

إن سهولة التقدير لملء الفجوة التي أوجدها المبدع يسهم في عدم إضاعة الوقت والجهد في محاولة التقدير.

وقوله: (هذا نظام حياتنا** بالنور **خُطّ** وباللهب) وقوله: (...حتّى **أُوسّد** في التُرب) في هذين التركيبين إذا ما قام المتلقي بملء الفجوتين نجدُه يستطيع مشاركة في التأليف منه أن يُؤوّل الأولى بضمير جمهي يعود على الأمّة الجزائرية فنقول (خطَطْناه أو نخُطّه) ، وأصل التركيب في بنيته السطحية: بالنور خطّ الشعب، فتم حذف الفاعل، وإقامة المفعول مقامه، كما عدل له الفعل بالبناء للمجهول، وليست هناك صعوبة كبيرة في ملء فراغ هذا التركيب، الأمر الذي لا يشتت ذهن المتلقي، بل يدفعه إلى عملية الشّحذ النّشط للذاكرة، كذلك الأمر مع الفعل (أوسّد) فنؤوّل فيه الفاعل بـ(توسّدونني) بضمير جمعي يعود على النشء.

هـ- حذف المتعلق:

حذف المتعلق في عدة مواضع منها قول الشاعر: (يا نشء أنت رجاؤنا وبك الصباح قد اقترب) أي يا نشء بك رجاؤنا/ أو رجاؤنا بك...، وقوله: (وارفع منار ...)(واهزز نفوس الجامدين...) أي ارفع واهزز إليك ...وقوله: (واذق ...) يُقدّر معها "وأذِق منك..."

خاتمة:

هذه دراسة أو هي محاولة لمقاربة قصيدة العلاّمة بن باديس (شعب الجزائر مسلم) في ضوء لسانيات النص، أردنا من خلالها الكشف عن الآليات التي حققت لها النّصية -وإن كنّا اقتصرنا على آلية الاتّساق-، وفيه على الاتّساق النحوي فقط، والبحث في السبل التي اسهمت في تضّامها نصّا واحدا، وقد توصلنا في الأخير إلى جملة من النتائج بيّنت أنّ الاتّساق النحوي اسهم وبصورة واضحة في تحقيق مبتغاه، والنتائج فيما يلي:

- يرى الباحث أنّ من أهم ملامح لسانيات النص دراسة الروابط مع التأكيد على ضرورة المزج بين المستويات اللغوية المختلفة وهذا بالاتساق الذي يتضح في تلك النظرة الكلية للنص برصد وسائل الترابط العميق بين الوحدات الجزئية، دون فصل بين هذه الأجزاء.

- إنّ الإحالة هي ردّ سابق على لاحق أو العكس ردّا يقتضي حفظ العلاقة المعنوية الدّلالية داخل النّص أو خارجه، هذا الرّد يكون عن طريق وسائل لغوية كالضمائر أو أسماء الإشارة أو الموصولة وغيرها مما يؤدّي هذه العملية، التي تحقق التماسك النصي وتخلق الكفاية النّصية.

- بروز الإحالة الضميريّة وبشكل لافت للانتباه ساهم في تحقيق الاتساق، سيما وأنّها تحيل في معظمها إلى الضمير الجمعي الذي يعني فيه الشاعر الشعب الجزائري والنشء القادم من الشباب وهو بهذا يحيلنا إلى محور الموضوع، وهذا ما جعل القصيدة مربوطة من أوّلها إلى آخرها من خلال هذا الضمير.

- أسهم الحذف بأنواعه (الاسمي الفعلي) في اتّساق القصيدة، وذلك من خلال استدراج القارئ وتنبيهه إلى ما حذف، فيحاول ملء الفراغات بالرجوع إلى ما قبلها، أو بالتطلّع إلى ما سيلحقها، ليتمكن من ربط اللاحق بالسابق.

– إنّ معرفة المؤلّف والقارئ (المؤلف الثاني للنص) بالأعراف اللغوية يعمل على تحقيق وظيفة الحذف في تحقيق التماسك، لأنّ المؤلف يعتقد أنّ القارئ قد ملأ الفراغ المتروك قصدا منه، ويكون حينها التأويل متّفق عليه عرفا.

– الحذف آلية المنتج في النص به يختصر ويوجز ويعطي المتلقي دورا في إنتاج النص من جديد (المشاركة في التأليف)، وذلك من خلال استدراجه وتنبيهه إلى ما حذف، فيحاول ملء الفراغات بالرجوع إلى ما قبلها، أو بالتطلّع إلى ما سيلحقها، ليتمكن من ربط اللاحق بالسابق، وإنَّ أكثر العناصر المحذوفة هي على الترتيب الاسم، الفعل، الجملة، وهذا التنوع يعود إلى رغبة الشاعر في خلق أبعاد موسيقية لتراكيبه إلى تنويع أشكال الحذف داخل النص الواحد.

– تباينت وسائل الاتّساق في نِسب ورودها في القصيدة، فبينما زاد بعضها كالإحالة ومنها ما قلّ كالحذف مقارنة بالإحالة.

هذا ما سَهُل واتّضح ايراده، ولسنا في هذا العمل نتقلّد الكمال، وإنّما هي محاولة قد سُبقنا إليها من أفذاذ الباحثين، نتوسّم فيها الإضافة طالبين من المولى عزّ وجلّ أن يفيد بها من مرّ عليها.

وفي الأخير نحمد الله على توفيقه ونرجوه السدّاد في أعملنا كلّها، فهو وليّ ذلك والقادر عليه، وصلّ الله وسلم على سيّدنا محمد.

هوامش:

[1] بشير ابرير، استرتيجية الانسجام في قراءة النص الأدبي، معهد اللغة العربية وآدابها، جامعة عنابة، الجزائر، د.ت، ص3

[2] ادوارد سابير، اللغة (مقدمة في دراية الكلام)، الدار العربية للكتاب، تونس، 1995، ص52.

[3] محمد خطابي، لسانيات النص –مدخل إلى انسجام الخطاب–، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 1991، ص 05.

[4] .ابراهيم خليل، في اللسانيات ونحو النص، دار المسيرة للنشر التوزيع، عمان، 2007، ص: 187.

[5] المرجع نفسه، ص: 197.

[6] تمام حسان، اللغة العربية مبناها ومعناها، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1979، ص 123.

[7] محمد الشاوش، أصول تحليل الخطاب، المؤسسة العربية للتوزيع، تونس، 2001، ص: 124.

[8] المرجع نفسه، ص: 124.

[9] محمد خطابي، لسانيات النص –مدخل إلى انسجام الخطاب–، ص: 16/19.

[10] روبرت دي بوجراند، النص والخطاب والاقراد، ترجمة تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، 1988، ص: 172.

[11] ج.ب. براون/ ج. بول، تحليل الخطاب، تر: محمد لطفي الزليطي ومنير التركي، جامعة الملك سعود، الرياض، 1997 ص: 37.

[12] الأزهر الزناد، نسيج النص، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 1993، ص: 118.

[13] المرجع نفسه، ص 118.

[14] محمد خطابي، الرجع السابق، ص 17.

[15] الأزهر الزناد،، لسانيات النص –مدخل إلى انسجام الخطاب–، ص 9/1.

[16] ج.ب براون، ج بول،تحليل الخطاب، ترجمة محمد لطفي الزليطي ومنير التريكي، ص 256.

[17] محمد خطابي، لسانيات النص، ص:18

[18] صبحي ابراهيم الفقي، علم اللغة النصي، دار قياد، القاهرة، 2001، ص 137.

[19] محمد خطابي، لسانيات النص، ص: 19

[20] محمد الشاوش، أصول تحليل الخطاب، ص128.

[21] محمد خطابي،، لسانيات النص، ص 19.

[22] طاهر حمودة، ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي، الدار الجامعية، الاسكندرية، مصر، 1999، ص9.

[23] المرجع نفسه، ص12.

[24] محمد خطابي، لسانيات النص، ص 21.

[25] صبحي ابراهيم الفقي، علم اللغة النصي، ص 191.

[26] محمد خطابي، لسانيات النص، ص22.

[27] ابن جني، الخصائص، تح: أحمد علي النّجار، المكتبة العلمية، القاهرة، 1952، ص: 362.

[28] ابن هشام، مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق مازن المبارك ومحمد على حمد الله، مراجعة سعيد الأفغاني، دار الفكر، بيروت، ط1 1998، ص 628.

[29] محمد خطابي، لسانيات النص، ص 22.

[30] صبحي ابراهيم الفقي، علم لغة النص، ص 196.

[31] روبرت دي بوجراند، النص والخطاب والاجراء، ص 340.